المحاضرة الخامسة (05): قضايا النقد عند الفلاسفة

الفرق بين الفلسفة والنقد:

الفلسفة علم القوانين العامة للوجود، أي الطبيعة والمجتمع والتفكير الإنساني وعملية المعرفة, ومن صفاتها: الشمول والوحدة والتعمق في التفسير والتعليل، والبحث عن الأسباب القصوى والمبادئ الأولى, أما النقد الادبي فإنه: فن دراسة الأساليب وتمييزها, وهو نحى من مناحي التفكير الإنساني، متجه نحو الأدب، ابتغاء معرفته والكشف عن خصائصه، وعما يربطه بما سواه من نشاطات الإنسان الأخرى

علاقة الفلسفة بالنقد:

* لما كانت الفلسفة علم قوانين الوجود العامة، والفكر الإنساني، فإنها تشكل النقد وتوجهه, وقد ولد النقد عند الفلاسفة، وارتبط بالفلسفة – عند اليونان – حتى صار فرعا من فروعها, ولا بد للفيلسوف الذي يريد أن يبني نسقا فلسفيا أن يقف عند الأدب وينظر فيه، ويصدر حكما,

* كما فعل أفلاطون (347 ق.م) من قبل في نظرية المحاكاة، ومن بعده تلميذه أرسطو, وقد اختلفا في حكمهما على الأدب والأدباء؛ فقد كان أفلاطون يذهب إلى أن الشعر بعيد عن الحقيقة، يغذي العواطف الضارة، وأنه غير نافع؛ فأثبت أرسطو عكس هذا، فالشعر نافع مفيد، وهذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون، لا بواسطة الحكاية، وتثير الرحمة والخوف، فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات,

* وصلة الفلسفة بالنقد تأتي على ثلاثة أوجه: الناقد فيلسوف مثل أفلاطون، الناقد تشرب بفلسفة في عصره، الناقد يعتمد مصطلحات الفلسفة ويطبقها على الشعر كما فعل قدامة ..

أثر الفلسفة في النقد:

للفلسفة تأثير في النقد الأدبي، ولعل من طبيعة النقد أن لا يستقل عنها الاستقلال التام، ففي القديم استعار النقاد مصطلحات فلسفة ما وراء الطبيعة مثل: الكل والجزء والوحدة والكمال والمحاكاة في الشعر؛ كما استعاروا مصطلحات فلسفة الطبيعة مثل: الضرورة والاحتمال وما شابه ذلك..

تطور صلة الأحكام النقدية بالفكر الفلسفي عند العرب:

- نشأ النقد عند العرب أحكاما مقتضبة، تلقى دون تعليل أدبي، وهي خارجة عنه؛ ولكنها أعراف اجتماعية تصدر عن المجتمع ويرتكز عليها الناقد آنذاك؛ مثل: اللياقة، فالتمايخ عيب حين قال لناقته:

إذا بلّغتني وحملت رحلي = عرابة فأشرقي بدم الوتين

- ثم تقدم النقد بعد ذلك خطوة بعدما نشأ علم الكلام؛ وهو علم عقلي، فأفاد النقد منه حتى قيل: «ولد النقد في أحضان الاعتزال»

- توجه المتكلمون عامة والمعتزلة خاصة إلى الأدب ينظرون فيه ويتبينون طرائق العربية في الأداء، لتعينهم على فهم النص القرآني، وليتمكنوا من محاجة الخصوم وإقناعهم، فكانوا من أبرز منشئي البلاغة العربية ومنشئي النقد العربي .

- وحين ترجمت الكتب اليونانية: كتاب الشعر والخطابة والسياسة كان لها أثرها في توثيق الصلة بين الأحكام النقدية والفكر الفلسفي، وأعملوا العقل وقدموه، واستغلوه خير استغلال، بدافع الصراع الأدبي أو غيره

أشهر الفلاسفة العرب وآراؤهم النقدية:

الفَارَابي (260 - 339 هـ = 874 - 950 م) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابيّ، ويعرف بالمعلم الثاني: أكبر فلاسفة المسلمين. تركي الأصل، مستعرب. ولد في فاراب (على نهر جيحون) وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألف بها أكثر كتبه، ورحل إلى مصر والشام. واتصل بسيف الدولة ابن حمدان. وتوفي بدمشق. كان يحسن اليونانية وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. ويقال: ان الآلة المعروفة بالقانون، من وضعه، ولعله أخذها عن الفرس فوسعها وزادها إتقانا فنسبها الناس إليه. وعرف بالمعلم الثاني، لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وكان زاهدا في الزخارف، لا يحفل بأمر مسكن أو مكسب، يميل إلى الانفراد بنفسه، ولم يكن يوجد غالبا في مدة إقامته بدمشق إلا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض. له نحو مئة كتاب، منها (الفصوص - ط) ترجم إلى الألمانية، و (إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها - ط) و (آراء أهل المدينة الفاضلة - ط) و (إحصاء الإيقاعات يصلنا من كتب الفارابي سوى: رسالة في قوانين صناعة الشعراء، وكتاب صناعة الشعر، الذي نشره محمد محمد سليم سالم بعنوان جوامع الشعر، وما جاء في كتاب إحصاء العلوم بشأن الشعر

يذهب الفارابي إلى أن الشعر نافع ولذيذ معا ولهذا تتحدد قيمته عنده في كونه مفيدو ممتع، و يتجلى ذلك بوضوح عندما يذكر صراحة أن الشعر يستخدم في أمور الجد وأمور اللعب، وقد شرح ذلك بقوله : "والأقاويل الشعرية منها ما يستعمل في الأمور التي هي جد، ومنها ما شأه أن تستعمل في أصناف اللعب، وأمور الجد التي هي جميع الأشياء النافعة في الوصول إلى أكمل المقصودات الإنسانية، وذلك هو السعادة القصوى.

يعد الفارابي المحاكاةَ جوهر الشعر؛ يقول: "والقولُ إذا كان مؤلَّفًا مما يحاكي الشيء، ولم يكُن موزونا بإيقاع، فليس يعد شعرا، ولكن يقال هو قولٌ شعري.. وأعظم هذين في قوام الشعر وجوهره عند القدماء المحاكاة وعلم الأشياء التي بها المحاكاة، وأصغرهما الوزن. «فالمحاكاة أهم من الوزنِ في الشعر، وعندما يتجرد قولٌ من الوزن، ويتصف بالمحاكاة فإنه يسمى قولاً شعريا، وكأنه لا يخرج عن مملكة الشعر

فالفارابي مثل أرسطو يرى الفن محاكاة سواء ما كان شعرا أو رسما، وهو - أي الفن - لا يطابق الواقع، ولكنه" يوازيه"، كما يوازي الرسم الواقع أيضا؛ فالعلاقة بين الفنون عموما والواقع علاقة تشبيه تشبيه خلاق.

جعل الفارابي المحاكاة أهم عنصر في التفريق بين الشعر والخطابة؛ لأنَّ المحاكاة هي مصدر التخييل، والتخييل "مثل العلم في البرهان، والظن في الجدل، والإقناع في الخطابة"، وهو يجيز أن تستعملَ "الخطابة أشياء من المحاكاة يسيرا، وهو ما كان قريبا جدا واضحا مشهورا عند الجميع"، والخطيب الذي يستعمل "المحاكاة أزيد مما شأن الخطابة أن تستعمله.. لا يوثق به "

فهو يطالب الخطيب أن يستعمل التخييل من أجل الإقناع، وكأنه يشير إلى ما يسمى "القوة الإقناعية للتخييل". كما أنَّ الشعر الموزون المتضمن قدرا من المحاكاة هو "قولٌ خطبي عُدِلَ به عن منهاج الخطابة.

قسم الفارابي الشعراء ثلاثة أقسام:

1- ذوي جِبلَّة وطبيعة متهيئة لحكاية الشعر وقوله، ولهم تأتٍّ جيد للتشبيه والتمثيل؛ إما لأكثر أنواع الشعر، وإما لنوعٍ واحدٍ من أنواعه، ولا يكونون عارفين بصناعة الشعر على ما ينبغي، بل هم مقتصرون على جودة طباعهم وتأتيهم لما هم ميسرون نحوه، وهؤلاء غير مسلجسين بالحقيقة لما عدموا من كمال الروية والتثبت في الصناعة.

2- إما أن يكونوا عارفين بصناعة الشعراء حتى لا يند عنهم خاصة من خواصها ولا قانونٌ من قوانينها في أي نوعٍ شرعوا فيه، ويجودون التمثيلات والتشبيهات بالصناعة، وهؤلاء هم المستحقون اسم الشعراء المسلجسين

3- أصحابِ تقليد لهاتين الطبقتين ولأفعالهما: يحفظون عنهما أفاعيلهما ويحتذون حذويهما في التمثيلات والتشبيهات من غير أن تكون لهم طباع شعرية ولا وقوف على قوانين الصناعة- وهؤلاء أكثرهم زللاً وخطأ يفهم من هذا أن: عملية الإبداع الشعري عند الفارابي" ليست طبعا أو إلهاما، إنها صناعة تعتمد على الرواية أساسا، ولها قوانينها ومواصفاتها التي ينبغي أن يلمها الشاعر. أخيرا يرى الفارابي أيضا أنَّ محاكاةَ الأمور قد تكون بفعل، أو بقول.

مسكَوَيْه (000 - 421 هـ = 000 - 1030 م) أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي: مؤرخ بحاث، أصله من الري وسكن أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ثم أولع بالتأريخ والأدب والإنشاء. وكان قيما على خزانة كتب ابن العميد، ثم كتب عضد الدولة ابن بويه، فلقب بالخازن، ثم اختص ببهاء الدولة البويهي وعظم شأنه عنده. وقال أبو حيان في جملة وصفه: (لطيف الألفاظ، سهل المأخذ، مشهور المعاني شديد التوقي، ضعيف الترقي، يتطاول جهده ثم يقصر، وله مآخذ وغرائب من الكذب - كذا - وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء. اهـ (ألف كتبا نافعة، منها (تجارب الأمم وتعاقب الهمم - ط) أجزاء منه، في التاريخ، انتهى به إلى السنة التي مات فيها عَضُد الدَّوْلَة (372 هـ (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - ط) (الفوز الأصغر - ط) في علم النفس، و (ترتيب السعادات - ط) في الأخلاق، و(رسالة في ماهية العدل - ط) عاش عمرا طويلا.

عرض مسكوية إلى الصلة باشعر من الجانب الأخلاقي، فهو لا يعنيه الشعر بذاته بقدر ما يحمله الشعر من فضائل أو رذائل، فإن حمل الأولى (الفضائل) ودعا إليها كان الشعر الصالح المحقق للغايات الأخلاقية؛ و'ن حمل الثانية (الرذائل) فمن الخير إبعاد الناشئة عنه؛ يقول مسكويه: «فمن ابتلي بأن يربيع والده على رواية الشعر الفاحش، كما يوجد في شعر امرئ القيس والنابغة، فليعد جميع ذلك شقاء لا نعيما، وخسرانا لا ربحا«

إن الشعر عند مسكويه وسيلة يرقى بها الإنسان إلى السعادة، أو ينحط عنها، تبعا لما في الشعر من فضائل ورذائل، مسكويه أن «يحفظ محاسن الأخبار والأشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالأدب، ويحذر النظر في الأشعار السخيفة، وما فيها من ذكر العشق وأهله، وما يوهمه أصحابها.أنه ضرب من الظرف

ومن المستبعد أن يكون مسكويه متأثرا بأفلاطون في موقفه هذا، لأنه موقف له جذوره في الثقافة العربية الإسلامية.

الغزالي: (450 - 505 هـ = 1058 - 1111 م) محمد بن محمد بن محمد الغَزّالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس، بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غَزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف. من كتبه (إحياء علوم الدين - ط) أربع مجلدات، و (تهافت الفلاسفة - ط) و (الاقتصاد في الاعتقاد - ط) و (محك النظر - ط) و (معارج القدس في أحوال النفس - خ) و (الفرق بين الصالح وغير الصالح - خ) و (مقاصد الفلاسفة - ط)

يقول الغزالي: «وعلى الجملة فإنشاد الشعر ونظمه ليس بحرام إذا لم يكن فيه كلام مستكره؛ قال النبي – صلى الله عليه وسلم – [إن من الشعر لحكم] ، نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب «والتجرد عنده للشعر مذموم، وخير الشعر ما كان حكمة؛ وعلى العموم لم يكن الغزالي ممن عنوا بالشعر نظما وتلخيصا وتفسيرا؛ وإنما نظر فيه نظر رجل الدين من حيث هو كلام كأي كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح

ابن سينا: (370 - 428 هـ = 980 - 1037 م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب (1) والمنطق والطبيعيات والالهيت. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها. قال ابن قيم الجوزية: (كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين) . وقال ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع.

ومفهوم الشعر عند ابن سينا: "كلام مخيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية وعند العرب مقفاة"، وهو بهذا التعريف يجعل التخييل أولا والوزن ثانيا هما قوام الشعر، أما القافية فهي خاصية الشعر العربي.

الفرق بين الشعر والنثر: ويرى ابن سينا أن التخييل هو السمة الخاصة التي تميز الشعر عن النثر، ولا يصبح القول شعرا بمجرد أن يكون موزونا، يقول في هذا الصدد: "قد تكون أقاويل منثورة مخيلة وقد تكون أوزانا غير مخيلة لأنها ساذجة بلا قول، وإنما يجود الشعر بأن يجتمع فيه القول المخيل بالوزن".

التخييل والمحاكاة عند ابن سينا

التخييل: عند ابن سينا مرادفا للمحاكاة التي بدورها ترادف التشبيه، والمخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها، بل لتخيل شيئا على أنه شيء آخر على سبيل المحاكاة ."

أما المحاكاة فهي: "إيراد مثل الشيء وليس هو هو، فذلك كما يحاكى الحيوان الطبيعي بصورة هي في الظاهر كالطبيعي، ولذلك يتشبه بعض الناس في أحواله ببعض ويحاكي بعضهم بعضا ويحاكون غيرهم"، وبهذا نجده يؤكد أن "المحاكاة تعطي شبيه الشيء ولا تنقله كما هو، وهو حين يضرب أمثلة للمحاكاة في الرسم والتمثيل يريد أن يشير إلى أن هناك فرقا بين ما هو حقيقي وما هو محاكى، وأن هذا الفرق يسمح بأن نقول إن المحاكاة لا تطابق الواقع، وإنها ليست تقليدا حرفيا له حتى وإن اقتصرت على تصوير ظاهر الشيء".

المحاكيات عند ابن سينا ثلاثة: تشبيه واستعارة وتركيب.

وموضوع المحاكاة عند ابن سينا: لا يقتصر على "الذوات الإنسانية أو الذوات عموما، ذلك أن المحاكاة الشعرية تتناول الأفعال الإنسانية المنسوبة إما إلى الأفاضل والممدوحين وإما إلى من يقابلهم من الناس، فيصبح موضوع المحاكاة تبعا لذلك إما مدحا وإما ذما. وربما تقتصر المحاكاة على وصف أحوال الناس وأفعالهم كما هي".

مهمة الشعر: يفصل ابن سينا بين غايتي الشعر: الإفادة والمتعة، حيث يذكر أن الشعر قد يقال للتعجيب وحده، وقد يقال للأغراض المدنية؛ ثم ذكر غاية الشعر عند العرب فقال: "العرب كانت تقول الشعر لوجهين أحدهما ليؤثر في النفس أمرا من الأمور تعد به نحو فعل أو انفعال، والثاني للعجب فقط، فكانت تشبه كل شيء لتعجب بحسن التشبيه."

وغاية الشعر عنده "الحث على فعل أو الكف عن فعل، ولما كانت الأفعال الإنسانية التي تحاكي إما جميلة أو قبيحة، أي إما فضائل وإما رذائل، وفي كلا الأمرين يرتبط التخييل بالتحسين والتقبيح اللذين حددهما ابن سينا غايتين أخلاقيتين للمحاكاة في الشعر؛ يقول ابن سينا في هذا الصدد: وكل محاكاة فإما أن يقصد بها التحسين وإما أن يقصد بها التقبيح